

الجرذ و السنور



يقدم : ا.عبد الحميد عبد القصور
ترجمة : ا.عبد الشافي سيد
تصميم : ا.عبد المصطفى



يُحكى أنه في مكان ما كانت توجد شجرة عظيمة ، هائلة الضخامة ..
 وأنه تحت هذه الشجرة كان يوجد جحرٌ سنورٌ يُطلقُ عليه اسمُ (رومي) .
 وأنه قريباً منه كان يوجد جحرٌ جرذٌ يُطلقُ عليه اسمُ (فريدون) .
 وكانت بين (رومي) و (فريدون) عداوةٌ شديدةٌ ، منذُ زمنٍ ، فلم يكن
 أحدهما يحبُ الآخر ، بل كان يأملُ في الخلاصِ منه .
 وكان هذا المكانُ مليئاً بالطيورِ والحَيواناتِ ، فكان الصيادون يرتادونه
 كثيراً للصيد .



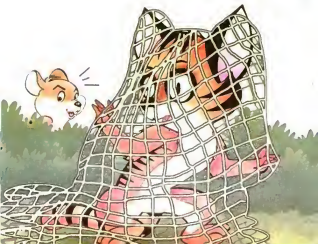
و ذات يوم قُدم إلى هذا المكان صيادٌ ماهرٌ ، فنصب شبكته بالقرب من جحر
(رومي) ، ثم ذهب لقضاء بعض حاجاته ، حتى يقع في الشبكة صيدٌ .

وسرعان ما خرج (رومي) من جحره ، فوقع في الشبكة ، ولم يستطع أن
يخرج منها .

وبعد قليل خرج (فريدون) من جحره ، باحثاً عن شيء يأكله ، وهو حذرٌ
كُلَّ الحذر من عدوه (رومي) .

وقبالة رأى الجرذ غريمه السور داخل الشبكة ، فاستبشر بذلك خيراً ، وقال
في نفسه :

— قد خلصني الله من عدوي اللدود إلى الأبد . سرعان ما يأتي الصياد ،
فياخذه ، ويسلخ جلده .



وبينما الجرذ (فريدون) شارد في خواطره السعيدة هذه ، رأى بومة واقفة على غصن الشجرة ، فخاف منها ، والتفت خلفه ليهرب ، فرأى (ابن عرس) متربصاً به ومستعداً لاخطافه ، فخاف الجرذ وقال في نفسه :

— إذا رجعت ورأيت اختطفني ابن عرس ، وإن تقدمت أمامي افترسني السنور ، وإن ذهبت يمينا أو شمالا اختطفني البومة .

وهكذا وقف الجرذ المسكين متحيراً في أمره ، وهو لا يدري ماذا يصنع ، وكيف يتصرف للخروج من هذه الورطة ، فقال في نفسه :



— هذا بلاءٌ عظيمٌ قد أحاط ، وشروءٌ كثيرةٌ قد تجمعتُ حولي ، ومحنٌ كثيرةٌ قد ابتليتُ بها ، ولكن أحمد الله على أنه أعطاني عقلاً ذكياً ، فلا يفزعني شيء ، ولا تقتلني الدهشة ، ولا يتمزق قلبي رعباً من هول كل هذه المخاطر التي تحيط بي ، فالعقل هو الذي بحسن استخدامه عقّله في مثل هذه المواقف الخطيرة ، ليخرج من المحنة بسلام .

وبعد تفكير سريع ، قال الجرذ في نفسه :

— لست أرى لي مخرجاً من هذا البلاء إلا مصالحة السّور ، والاتفاق معه ، حتى وإن كان أعدى أعدائي ؛ لأنه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بي . . . المهم أن ينصت إلى كلامي ، ويثق أن في نجاتي نجاته ، فيوافق على معاونتي إياه .



وتقدم الجرذ من السنور ، فقال له :

- كيف حالك أيها الغريم القديم ؟

فقال السنور في ضيق :

- في ضنك وضيق ، وأظن أن ذلك يسرُّك ..

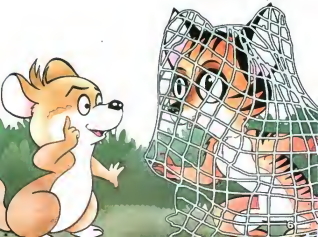
فقال الجرذ في لهجة صادقة :

- كيف أسرُّ بذلك ، وأنا الآن شريكك في البلاء ؟ لقد جئت إليك أعرضُ

عليك أن نترك العداوة قليلاً ، حتى ينجو كلانا من هذه الحنة .. وثق أنني

صادق في كلامي ، وأنه لا نجاة لي إلا بخلاصك من هذه الشباك .. من الأفضل

أن ننجو معاً بدل أن نهلك معاً .



فقال السنور :

ـ ما الذى يدرينى أنك صادق فى كلامك ، وأنها ليست خُدعة من خدعك ؟

فقال الجرذ بلهجة صادقة :

ـ إن ابن عرس كامن لى من الخلف ، والبومة متربصة لى من فوق الشجرة ، فإن أعطيتنى الأمان قرضتُ حبال الشبكة ، وخلصتُك من هذه الورطة .

فلما رأى السنور ابن عرس كامنا من خلف الجرذ ، والبومة متربصة له فوق الشجرة ، أدرك صدق كلامه ، ورغبته الجادة فى مساعدته ، فقال له :

ـ لقد تحققت من صدق كلامك ، أنا أيضا راغب فى الخلاص من هذه الشبكة اللعينة ، فلنبدء عداوتنا جانبا ، ولنستعاضد على أن يساعد كل منا الآخر بصدق وإخلاص ، حتى ننجو من هذه المحنة .



فقال الجرذ :

ـ اتفقنا .. سادس منك الآن طالما أنك قد أعطيتني الأمان ، وأقرضت جبال
الشبكة كلها إلا حبلاً واحداً أبقيه ، ولن أقرضه إلا في اللحظة المناسبة التي
أختارها أنا .

فتعجب السنور وقال :

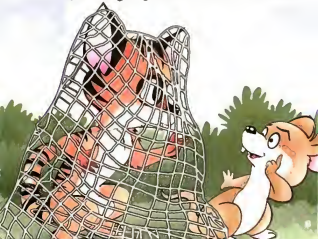
ـ ولم تترك هذا الحبل دون قرض ، وتبقيني أسيراً بسببه ؟

فقال الجرذ :

ـ هذا الحبل سوف أستبقيه ، حتى أستوثق لنفسى منك .

فقال السنور :

ـ سأنت وما تحب ، طالما أنك لست واثقا منى ، حتى بعد أن أعطيتك الأمان .



وبدا الجرذ يعمل في همة ونشاطٍ على قرض حبال الشبكة . فلما رأى ابنُ عرس والبومة أن الجرذ بدأ في قرض حبال الشبكة ، يئس كُلُّ منهما من انصرافه ، وابتعد كُلُّ منهما ، ليبحث عن صيدٍ آخر .

ولما رأى الجرذ أن الخطر قد زال ، أخذ يتكاسل في قرض حبال الشبكة ، وأحس السنور بذلك ، فقال له :

- ما لي أراك متكاسلاً عن قرض حبال الشبكة .. هل شعرت بالأمان لأن أعدائك قد رحلوا ، فلا تريد أن تسم العمل الذي عاهدتني عليه .. إنَّ وعدَ الجرذ ذين عليه ، والكريم لا يقصر في حق صاحبه ، فلم يردَّ عليه الجرذ بكلمة ،



واستمر السنور مذكراً إياه بما التفتا عليه قاتلاً :

ـ لقد كان لك في سابق مودتي من النفع والفائدة ما لا تُنكره ، ولهذا فانت
مدين لي ويجب أن تخلصني من هذه الشبكة اللعينة .. لا تذكر العداوة التي
كانت بيني وبينك ، لأن الذي حدث بيننا من الصلح يجب أن يُنسى ذلك .
وسكت السنور قليلاً .. ثم استمر قائلاً :

ـ إذا كنت قد نويت الغدري ، فإنني أذكرك أن عاقبة الغدر وخيمة ، وأن
الكرام لا يكون إلا شكوراً غير حقود .. وإن أسرع عقوبة هي عقوبة الغدر ،
وإن من يتضرع إليه الناس في أخته ، ويسألونه العفو عند المقدرة ، فلم يرحم
ولم يعف هو غادر .



فتكلم الجرذ أخيراً ، وقال بعد طول صمت :

- إن الصديق نوعان .. صديق طائع مختار ، وصديق يكون بالاضطرار ،
وكلاهما يبرجو المنفعة ، ويحترس من المضرة .. فأما الصديق الطائع المختار ،
فهو الذي يأمنه المرء في جميع الأحوال .. وأما الصديق بالاضطرار كما هو
حالى معك الآن ، ففي بعض الأحوال يأمن المرء إليه ، وفي بعض الأحوال يتخذ
جذره منه .. ولكن اطمئن فأنا مؤف لك بما قطعته على نفسي ، من تخليصك
من هذه الشبكة ، لكننى أيضاً محترس منك ، خشية أن يصيبنى ما ألجأتنى إلى
مصاحبتك ، وأجأك أنت إلى قبول الصلح منى .



فقال السور :

ـ هذا الوفاء منك يُحسبُ لك في ميزان حسناتك .

وقال الجرذ :

ـ سوف أمضي في عملي ، فأقطع الخبال كُلِّها ، إلا عقدة واحدة سوف أتركك مربوطاً فيها ، ولا أقطعها إلا في اللحظة التي أراك فيها مشغولاً ، حتى لا تفزع علي وتأخذني ، وذلك عندما أرى الصياد قادماً نحونا .

وعاد الجرذ براصل عمله في فرش حبال الشبكة ، حتى ظهر الصياد ، فقال له السور :

ـ أسرع وإلا أخذني الصياد .



فقال له الجرذ :

- اطمنن .. لم تبقَ إلا آخر عقدة .

وفي اللحظة التي وصل فيها الصياد قرض الجرذ العقدة الأخيرة ، ففزع السنور فوق الشجرة ، واختبأ الجرذ في جحره ، والصياد ينظرُ بدهشةٍ وذهولٍ إلى شبكته الممزقة .. ثم حملها ورحل .

وبعد قليل خرج الجرذ من وكوره ، وخاف أن يقترب من السنور ، فناداه السنور قائلاً :

- أيها الصديقُ المخلصُ الناصحُ ، لماذا لا تقترب مني ، حتى

أجازيك حبراً على ما قدمت لي من معروف ؟



فظل الجرذ في مكانه محاذراً أن يقترب منه ، واستمر السنور قائلاً :
- تعال إلي يا أخى ولا تقطع رجائى ؛ لأن من اتخذ صديقاً وقطع رجاءه حُرِمَ
ثمرة إخوانه ، ويئس من منفعة الإخوان والأصدقاء لبعضهم .

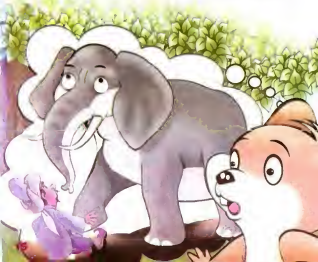
فظل الجرذ واقفاً في مكانه محاذراً منه ، ولم ينطق بكلمة ، بينما راح
السنور ينسبُ له بأغلظ الأيمان بأنه صادقٌ فى مودته له ، وأنه واغب فى
مكافاته على المعروف الذى قدمه إليه . فقال الجرذ :

- رُبَّ صداقة ظاهرة ، لكنها تحمل فى باطنها عداوةً كامنةً ، وهى أشدُّ
خطراً وضرراً من العداوة الظاهرة .. ومن لم يحترس من مثل هذه الصداقة



يكون مثل الرجل الذي يركبُ ناب الفيل الشائر ، ثم يغلبه النعاس ،
فيستيقظ ليجد نفسه تحت أقدام الفيل ، فيدوس عليه ويقتله .. لقد سُمي
الصديق صديقاً لما يرجوه المرء من نفعه ، وسُمي العدوُّ عدوًّا لما يخافه المرء من
ضرره .. والعاقلُ هو الذي إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة ، وإذا خاف ضرر
الصديق أظهر له العداوة .. لقد زالت الآن صداقتنا ، فاتركني وشأني .
وعبثاً حاول السنور أن يقنع الجرذ بأنه صديق له ، وليس عدوًّا كما كان في الماضي .
فقال له السنور ، بعد أن ينس منه :

— أنت وما تحب يا أخي ..



وقال له الجرذ :

— أنا الآن أحبُّ لك من البقاء والسلامة ، ما لم أكنُ أحبُّه لك من قبل ، وكل ما أرجوه منك أن تُعاملني بمثل ذلك .

فقال السنور :

— وأنا أرجو لك ذلك .

وهكذا عاد كلُّ من الجرذ والسنور إلى حيائيهما القديمة ، بعد أن جمعت بينهما الصداقة في لحظات الخطر .

(تمت)

رقم الإصدار : ١٩٩٩٩ / ٩٠٠٢

الطبعة الأولى : ٢٠٠٢ - ٩٩٩ - ٩٩٩

